

المصدر: المصور

التاريخ: ٨ فبراير ٢٠٠٢

الأسبوع السياسي

سؤال تردده واشنطن : هل حانت نهاية امبراطوريتنا؟

بوش وغطرسة القوة!

●● هل هي حقا بداية سقوط الامبراطورية الأمريكية؟!

السؤال ليس من عندي ولكنه بدأ يتردد على بعض الألسنة في واشنطن. والسبب هو المدى الذي ذهب اليه الرئيس بوش في خطابه عن حالة الاتحاد... فهو لم يكتف بنشر القوات الأمريكية من أفغانستان ومعظم دول وسط آسيا الى الفلبين ولكنه وجه إنذارا بأن الغزو الأمريكي لأفغانستان سيتكرر في العراق وإيران وشمال كوريا اذا لم تخضع هذه الدول الثلاث التي تمثل محور الشر، في العالم الى المشيئة الأمريكية. وبما أن من العسير إن لم يكن من المستحيل أن تخضع هذه الدول الثلاث الى هذا «الفرمان» الامبراطوري الذي قذف بالحوار ناهيك عن التفاوض من الشباك، كما يقول الأمريكيون، فإننا إذا أخذنا بما أعلنه بوش، والكل هنا يؤكد أن الرجل يقول ما يعنى ويعنى ما يقول، فإن أول فصل قد بدأ في

سيناريو أخطر مائة مرة مما شاهدناه في أفغانستان وسنشاهد بقيته في السماء حتما وربما وعلى الأرض ولكن دون تأييد من أحد بدلا من التأييد العالمي الذي ساندته في السيناريو الأول. أما بقية الستين دولة على الأقل التي انتشرت فيها خلايا الارهاب، فإن عليها، كما أعلن بوش أن تنظف بيوتها والا فستقوم أمريكا بالمهمة بالإناطة عنها!

إذا أضفنا الى كل هذه الرقعة التي يرى بوش امتداد القوات الأمريكية اليها بجانب وجودها الكثيف في مساحة تمتد من أوروبا الى كوريا الجنوبية واليابان عبورا بالخليج العربي، ألا يذكر ذلك بامبراطوريتين عظيمتين أخريين ظننا أن قوتهما بلغت شأنا يستحيل معه أن تغرب الشمس عنهما واعتقدتا أيضا أن ما تمثلانه من قيم هي الأفضل ومن ثم فإن على بقية العالم أن يستسلم لهما؟! ●●

القيم على أنها مطالب لا تقبل التفاوض» من جانب أمريكا، أليس في ذلك نوع من فرض هذه القيم كما تفسرها أمريكا وحدها من خلال تجربتها الخاصة على بقية الدول؟ ثم أن أمريكا لم تقبل فقط «بالتفاوض» مع إسرائيل حول قيم «الكرامة الانسانية وحرية الكلمة والعدالة المتساوية والسماحة الدينية» فيما يتعلق بالشعب الفلسطيني، ولكنها قبلت بأن تدك إسرائيل كل هذه القيم بطائرات اف ١٦ وبمروحيات الأباتشي وبقية الأسلحة الأمريكية محمية حتى من الإدانة بالفيتو الأمريكي الذي يمنع أيضا وجود قوات دولية لمجرد المراقبة حتى يتبين العالم من الذي يشعل حقا الحقة المفرغة من الفعل ورد الفعل.

وصحيح أن الرئيس بوش امتدح «الإسلام وتاريخه الثرى بقرون من العلم والسماحة والتقدم»، ولكنه بعد أن كرر عدة مرات أدانته للدول التي تمثل «محور الشر»، فإنه في نهاية خطابه حدد أعداء أمريكا بطريقة مفزعة فقال «إن أعداءنا يرسلون أطفالهم وأطفال الآخرين في مهام انتحارية واغتيالية، فهم يعتنقون الطفيان والموت كقضية يثمنونها!» أليس في ذلك تبين للمنطق الاسرائيلي الزائف تجاه الفلسطينيين الذين يقدسون حبهم لأطفالهم كما يقدس كل البشر؟

مبدأ بوش

ولذا فما أن انتهى بوش من القاء خطابه، إلا وهرع المسؤولون في ادارته لكي يخففوا من تصريحاته. فقالوا إنه لم يقصد أن يفرض الإرادة أو الثقافة الأمريكية على الدول الأخرى، وكأن الثقافة الإسلامية أو العربية تختلف في نظرتها للأطفال عن الثقافة

ولكن فلنعد الى نص ما أعلنه بوش في خطابه حتى لا نضلّمه ثم ما صرح به كبار وزرائه وأهم مستشاريه لتفسير خطابه عن حالة الاتحاد الذي يوضح فيه الرئيس الأمريكي تقليديا يوم ٢٩ فبراير من كل سنة سياسته الداخلية والخارجية. أكد بوش أن «الحرب ضد الارهاب قد بدأت فقط» في أفغانستان، وهدد كل الدول التي تقف خائفة أمام الارهاب بأن «عليها أن تفهم أنها إذا لم تقم بما يجب فإن أمريكا ستقوم به».

لاشك أن مصلحة كل الدول أن تقوم بتصفية الارهاب ولكن من الذي سيحكم في النهاية إذا ما كانت قد قامت بما يكفي أم لا؟ يبدو أن بوش يرى أن هذا الحكم متروك لأمريكا وحدها، وستبنى على حكمها هذا إذا ما كانت ستقوم ازاعها بما قامت به ضد أفغانستان أيام طالبان عندما رفضت القيام بتسليم بن لادن وغلق قاعدته فيها.

وبينما يقول بوش «إننا سوف نتروى في اتخاذ القرار» إلا أنه أضاف «ولكن الوقت ليس في صالحنا. ومن ثم فإنني لن أنتظر وقوع أى أحداث بينما تتجمع سحب الخطر». ثم يؤكد «أن الحرب بدأت بداية حسنة إلا أنها قد بدأت فقط وقد لا تنتهي بنهاية فترتي الرئاسية (يناير ٢٠٠٥). فأمريكا ستقف دائما بصلابة للدفاع عن مطالب لا تقبل التفاوض من أجل الكرامة الانسانية وحكم القانون والحدود التي يجب فرضها على سلطة الدولة واحترام المرأة، وحق الملكية الخاصة وحرية الكلمة والعدالة المتساوية والسماحة الدينية».

كل هذه القيم تستحق دون شك الاحترام والدفاع عنها، ولكن عندما يشير بوش لهذه

اللوبي اليهودي بغلق الباب الذي كان مواربا مع طهران على المستوى الشعبي عن طريق تبادل الفرق الرياضية والفنية. ولكي يبرر دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الزج بايران في «محور الشر» ، فإنه قام فجأة يوم الأحد الماضي باتهام ايران بأنها ساعدت على هروب قيادات القاعدة الى اراضيها .

ولكن ايران وكوريا الشمالية ليستا كأفغانستان يمكن لبوش أن يشن الحرب على أى منهما بسهولة، ومن ثم فإن كل ما فعله بوش هو تقويض أى اتجاه معتدل وزيادة موجة العداء ضد امريكا فى كل منهما بدلا من مواصلة الحوار مع كوريا وتدعيم الاتصالات مع ايران على المستوى الشعبى وتوسيع الحوار الذى كان قد بدأ بحذر اثناء الحرب ضد طالبان.

اما بالنسبة للعراق فالأمر مختلف. فأولا هناك لوبي قوى داخل الادارة الأمريكية نفسها بزعمارة رامسفيلد ونائبه بول وولفويتز زعيم الصقور فى الادارة الذى تزعم الحملة ضد صدام منذ ان كان وكيلا لوزارة الدفاع فى عهد جورج بوش والد الرئيس الحالى، والذى كان قد عارض توقف زحف القوات الأمريكية الى بغداد سنة ١٩٩١ . ورغم ان كتيبة المعلقين الذين يهاجمون العراق يهاجمون ايران ايضا الا ان تركيزهم على العراق اقوى بكثير من تركيزهم على ايران وهم فى ذلك يختلفون مع اسرائيل رغم علاقاتهم الوطيدة بها. كما ان اللوبي المعادى للعراق قد استطاع أن يبيع ادعاءات المعارضة العراقية للادارة بأن نظام صدام أصبح هشا بسبب قدم أسلحته وتطلع قواته للهروب اذا ما اقتنعت بأن أمريكا هذه المرة

الأمريكية؛ فسارع المسؤولون مرة أخرى ليقولوا أن المقصود هو تصحيح الصورة السلبية للغرب وأمريكا التى ينشرها رجال الدين المتشددون فى المدارس الاسلامية عن طريق «حملة عالمية تقدم التدريب للمدرسين والكتب المدرسية فى اطار شراكة مع الدول التى تهتم بتحديث نظمها التعليمية».

كما التزم بوش فى خطابه بتوسيع المبدأ الذى عرف باسمه والقاضى بمحاربة الارهاب وتصفية خلاياه فى شتى أنحاء العالم بحيث يصبح يشمل الدول التى تسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل، ومع أن بوش ركز على كوريا الشمالية وايران بجانب العراق كمحور الشر بين هذه الدول، الا أن معظم المعلقين والمراقبين أكدوا أن العراق هو المستهدف أساسا. فكوريا الشمالية قد جمدت كل تجارب الصواريخ وبدأت فى تبني سياسة انفتاح تدريجية كما دخلت فى حوار مع أمريكا لم يقطعه سوى بوش نفسه .

كما أن ايران كانت قد فتحت منفذا للحوار مع امريكا وتعاونت معها فى الحرب ضد طالبان تحت رئاسة زعيم معتدل يتمتع بتأييد غالبية شعبه كما أظهرت دورتان انتخابيتان اعترفت أمريكا بنزاهتهما. أما الرئيس خاتمي فهو وفقا لمعظم المراقبين الامريكيين أنفسهم يخوض معركة داخلية مع الصقور لكي يدعم الديمقراطية ويزيد من جرعة الليبرالية ويتبع سياسة عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى بل ويهدف لاقامة حوار متكافئ مع واشنطن . وكانت الأمور تسير فى هذا الاتجاه الى أن عادت اسرائيل الى التأكيد على أن ايران تمثل خطرا عليها اكثر مما يمثلها العراق على المدى المتوسط، فإذا بواشنطن تقوم تحت ضغوط

مؤتمر السلام في مدريد حيث كانت هذه العملية تحتل الأهمية الأولى في سياسة أمريكا على الأقل تجاه الشرق الأوسط !

زيارة شارون

في هذه الأجواء سيصل شارون لواشنطن بعد يوم من نشر هذا العدد من المصور ليطلب بقطع كل العلاقات والاتصالات مع الرئيس عرفات مستندا على تأييد الكونجرس لمطلبه هذا وعلى أن الإدارة كانت على وشك أن تتخذ قرارا للقيام بذلك فعلا قبل أيام خاصة بعد ما يقال حاليا من أن كوندليزا رايس مستشارة بوش للأمن القومي قد أصبحت في صف الصقور سواء بالنسبة لفلسطين أو العراق بعدما كانت تقف على الحياد . ولكن عرفات استبق شارون بنشره مقالا باسمه في نيويورك تايمز يوم الأحد الماضي أعلن في بدايته بكل قوة ووضوح «إنني أدين الهجمات التي نفذتها جماعات إرهابية ضد المدنيين الاسرائيليين. وأن هذه الجماعات لا تمثل الشعب الفلسطيني ولا آماله الشرعية في الحرية، فهذه منظمات إرهابية وإنني لعازم على وضع نهاية لنشاطاتها. وقد فسر ذلك بسرعة، على أن الرئيس الفلسطيني قد قبل بما تطالب به أمريكا بأن حماس والجهاد الفلسطيني المنظمين اللتين حددتهما الرئيس بوش في خطابه واللتان قامتا بالعمليات الأخيرة في إسرائيل هما منظمات إرهابيتان ومن ثم التزم علنا بوضع نهاية على الأقل «لنشاطاتهما» الإرهابية .

لن نتوقف قبل الوصول الى بغداد .

إذا أضفت لكل ذلك الثأر الذي ورثه بوش من والده ضد صدام فإن العراق هو ولاشك المقصود في خطاب حالة الاتحاد عندما قال بوش أنه لن ينتظر حتى تتجمع سحب الخطر. وبصراحة فأننى اعتقد في ضوء اتصالاتى هنا، أن العراق سيساعد بوش في القيام بما ينوى القيام به ضده إذا اعتمد على تأييد روسيا أو فرنسا أو على موقف الدول العربية بجانبه لرفض أية صيغة تقدم له بشأن عودة المفتشين الدوليين الى العراق بدلا من بذل جهده بمساعدة أى دول أخرى للحصول على أفضل صيغة يعود بها المفتشون. فلن تخاطر روسيا بحرب مع أمريكا بسبب العراق فمصلحتها مع واشنطن أضعاف مصالحها مع بغداد ناهيك عن أخطار حرب عالمية ثالثة لم يخاطر بأشغالها الاتحاد السوفييتى نفسه في قمة قوته .

أما الدول العربية فإذا كانت تستطيع القيام بأى شئ لقامت به حاليا لتجدة الشعب الفلسطيني بعد الضوء الأخضر الذى اعطاه بوش لشارون للقيام بأفزع عدوان عليه منذ سنة ١٩٦٧. ولنلاحظ أنه بينما وجد بوش وقتا في خطابه عن حالة الاتحاد لإدانة حماس والجهاد الإسلامى، وكأن هذه هى القضية الأساسية فى السياسة الخارجية الأمريكية، فإنه لم يجد ثانية واحدة لمجرد الإشارة الى عملية السلام من قريب أو بعيد وهو ما لم يحدث فى أى خطاب سابق على الأقل منذ

الاتحاد الذي اتسم بأسلوب خطابي مثير
لشاعر الحرب مما صعد بدرجة أكبر التوتر
العالمي خاصة بالنسبة لما أعلنه الرئيس
الأمريكي بأن الحرب على الإرهاب ستمتد
إلى دول أخرى بعد أفغانستان .

وقد عكس توماس فريدمان هذه الغطرسة
في مقاله الأخير في نيويورك تايمز. فقد أكد
أن أمريكا أصبحت أكثر تطورا تكنولوجيا من
حلفائها الاطْلَنتيين لدرجة أنها لم تعد بحاجة
اليهم في أي حرب تخوضها، ثم قال «وعندما
تضيف إلى ذلك دوافع فريق بوش للانفراد
بكل ما تقوم به ولا تريد غريزيا أن تحارب
بمساعدة أي من حلفائها حتى لا تعوق مثل
هذه المساعدة عملها أو تحد من مساحة
مناوراتها فإنك ستجد الكثيرين جدا في
بروكسل (مقر الاتحاد الأوروبي وحلف
الاطْلَنتي) الذين يتسارعون إذا كان يمكن
لدول الحلف أن تحارب معا مرة أخرى».

ولكن حتى فريدمان ينهى مقاله بقوله انه
رغم سعادته بأنه أصبح في قدرة أمريكا ان
تستغل قدراتها التكنولوجية المتفوقة بمسافة
كبيرة على أوروبا لدرجة أنه أصبح هناك
إبارثايد عسكري في حلف الاطْلَنتي تقوم فيه
أمريكا بدور الطباخ ويقوم فيه بقية الأعضاء
بجمع الأطباق وغسلها، إلا انه لا يود أن
تحارب أمريكا في كل مكان بمفردها . ولذا
فانه طالب أوروبا بتكثيف استثماراتها في
التكنولوجيا والا فلن يصبح لها الحق في
الشكوى من انفراد أمريكا بالقرار. وفي
الوقت نفسه طالب فريدمان فريق بوش بالحد
من بعض غرائزهم الانفرادية التي تجلت في
مواقفهم من معاهدة الناتو إلى اتفاقية كيوتو
(التي رفض بوش التوقيع عليها) لكي
يوضحوا ان أمريكا لا تود أن تخلق بمفردها
في السماء كما تحب أن يكون معها آخرون
عند الهبوط على الأرض».

وأخيرا فإنه يبقى سؤال يجب أن نوجهه
إلى أنفسنا: أين نحن من كل هذا، وتجاه كل
ما يحدث حولنا من القضية الفلسطينية إلى
القضية التكنولوجية مورويا بالقضية
العراقية؟!

محمد وهبي

وقد قفز كولين باول وزير الخارجية وزعيم
الحمايم القليلين في الادارة الامريكية في
اليوم نفسه ليستغل تصريح عرفات في مقاله
لصالح عملية السلام فصرح بقوله «إنني
مسرور بأنه أدان الإرهاب وأنه كرر ذلك اليوم
وهذا جيد، ولكننا الآن نحتاج لقيامه بالعمل
ضد الإرهابيين». كما رحب باول باجتماع
شارون بمحمود عباس (أبو مازن) وأحمد
قريع (أبو علاء) ومحمد رشيد مستشار
عرفات للشئون الاقتصادية مشيرا إلى أنه
سيجرى الحوار نفسه معهم بهدف إعادة
العمل بوقف إطلاق النار ومن ثم العودة إلى
المفاوضات إذ انه «ليس بوسعنا أن نبتعد عن
الأزمة الجارية في الشرق الأوسط».

ولكي أوضح للقارئ أهمية مقاله باول
فأنتي لشير إلى كلمة لقلها مسئول كبير في
وزارة الخارجية قبل يومين من تصريح وزيره
كانت كلها انحيازاً للموقف الاسرائيلي،
وعندما توجهت إليه بعد أن أنهى كلمته في
محاولة لاستخلص منه شيئا يعدل به ولو إلى
حد ما موقفه، مشيرا إلى المشاكل التي
تعرض عرفات ليقوم بكل ما طالبه به في
كلمته ، فما كان منه إلا أن قال بغطرسة
«إن مشكلة عرفات في كوفيته» مستخدما
الكلمة العربية للباس الرأس الفلسطيني!! هل
يجزو أي مسئول أمريكي أن يقول لأي
صحفي اسرائيلي أن مشكلة شارون هي في
طاقيته اليهودية؟! ما الذي كان يمكن أن
يحدث بعد ذلك في أمريكا إن لم يكن في كل

العالم؟! ولكنني احترم أن ما قاله لي هذا
المسئول الكبير لم يأت على لسانه أثناء كلمته
رغم أنه لم يتدارك بعد أن صرح لي بما
صرحه ليطلب عدم نسب التصريح إليه .

ومع أنني ظلت طوال اليوم بعد ذلك العنق
في حلقى مرارة ما سمعته ، إلا أنني ذكرت
نفسى بأن هذه الغطرسة التي دفعته لأن
يجيب بهذه الطريقة كادت تصبح في رأي
البعض أحد ملامح السياسة الأمريكية بعد
الانتصار في أفغانستان رغم أنه لم يكتمل
بعد. وقد اغضبت هذه الغطرسة معظم حلفاء
أمريكا خاصة في أوروبا، كما أغضبهم كما
قالت صحيفة شيكاغو تريبيون الأمريكية ما
جاء على لسان بوش نفسه في خطاب حالة